

بَلْعَامُ بْنُ بَعُورَ.. كَانَ الْمَالُ سَبَبَ ضَلَالَتِهِ

(Arabic – Balaam son of Beor's error was for profit.)

أحبائي.. حديثنا اليوم موضوعه: بلعام بن بعور كان المال سبب ضلالتِهِ
ومن رسالة يهوذا نقرأ العدد الحادي عشر:

"وَيْلٌ لَهُمْ لَأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَ قَائِبِينَ وَانصَبُوا إِلَى ضَلَالَةٍ بَلْعَامَ لِأَجْلِ أَجْرَةٍ. وَهَلَكُوا فِي مُشَاجَرَةِ قورَح".^١

إن يهوذا. كاتب الرسالة التي تحمل اسمه في الإنجيل. هو أخو يعقوب كاتب الرسالة المعروفة باسمه أيضاً. قصد يهوذا من كتابة رسالته تلك أن يُحذِرَ المؤمنين من المعلمين المضلين الذين اندسوا بين جماعة الرب. ولتيمسكوا بالإيمان الصحيح. ولقد جاء بالنص الذي قرأناه ذكر ثلاثة من رجال العهد القديم دبر لهم إبليس أخطر المكائد فأفسد حياتهم ووصمها بأشرف الأفعال. كتب مشيراً إلى الويل الذي ينتظر هؤلاء الذين سلكوا طريق قايين. وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجره. وهلكوا في مشاجرة قورح. وحديثنا اليوم يدور حول "ضلالة بلعام".^٢

لقد أعد الله لكل إنسان قبل أن يولد طريقاً سويًا كي يسلكه. مؤيداً إياه بقوة لتكون حياته مثمرة لمجد الله. وقد أعطى الله الإنسان حرية الإرادة ليختار لنفسه. إما قبول الصالح الذي حسب مشيئة الله. أو أن يختار لنفسه طريقاً آخر مُبتعداً عن مشيئة الله الصالحة له. ومثال ذلك ما جاء بسفر التكوين الأصحاح الرابع إذ يبدو أن آدم أوضح لابنيه قايين وهابيل نوع الذبيحة المقبولة عند الله في العبادة. ولكن قايين أساء وقدم من ثمار الأرض قرباناً للرب مع علمه أن ذلك مخالف لما أوصى به الرب عبده آدم ليقرب به إلى الله بعد طرده من الجنة. أما هابيل فأحسن التقية وكانت مقبولة لدى الله "فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه". ولكن الرب لم يتركه لأفكار إبليس الذي كان يدبر له ليذمر حياته. فقال الرب لقايين: "ماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك؟. إن أحسنت أفلا رفع؟".^٣

لقد رسم الوحي الإلهي بسفر العدد الأصحاح الثالث والعشرين مشاهد الصراع الذي دار بقلب بلعام بين الاختيارين: طريق الله المستقيم الأمين. أو طريق الهلاك المعبود بإغراءات الذهب والفضة المحفوف بالأخطار؟. لقد حدث أن دبر بالاق ملك مواب مكيدة لبنى إسرائيل. وبالاق يعلم أن الله أعطاهم نصرته على كل أعدائهم. فأرسل بالاق ملك مواب رسلاً إلى بلعام يدعوه لالتيان إليه. قائلاً: "فالآن تعال والعن لي هذا الشعب. لأنه أعظم مني. لعله يمكننا أن نكسره فاطرده من الأرض. لأبي عرفت أن الذي تباركه مبارك والذي تلعنه ملعون". .. فانطلق شيوخ مواب ومدنيان ومعهم رشوة ليغروا بلعام بالمال. فقال لهم: "في الغد أريدُ عليكم جواباً كما يكلمني الرب". إن بلعام يعلم جيداً مشيئة الله. وكان من الحكمة أن لا يلبي طلب ملك مواب بإصرار ويرفض رشوته.^٤

ولكن للأسف!. كان قلب بلعام ميالاً للرشوة ضعيف الإرادة أمام إغراءات الذهب والفضة. فأتى الله إلى بلعام وقال له: "لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك". فعاد إلى الرسل قائلاً لهم: "إن الرب أبي أن يسمح لي بالذهاب معكم". فأعاد بالاق السؤال مرة أخرى مقدماً عرضاً أوفر ليغري بلعام. وأرسل إليه رؤساء أكثر وأعظم وأتوا إليه برسالة أخرى منه يقول فيها: "لا تمتنع من الالتيان إلي. لأنني أكرمك إكراماً عظيماً. وكل ما تقوله لي أفعله. فتعال الآن والعن لي هذا الشعب". .. فأجاب بلعام وقال لعبيد بالاق: "ولو أعطاني بالاق ملاء بيته فضة وذهبا. لا أقرر أن أتجاوز قول الرب إلهي. فامكثوا هنا هذه الليلة. لأعلم ماذا يعوذ الرب يكلمني به".^٥

^١ استمع إلى الإنجيل

^١ رسالة يهوذا ١١

^٢ رسالة يهوذا ٣ - ٤

^٣ سفر التكوين ٤: ٣ - ٨

^٤ سفر العدد ٢٢: ٢ - ٨

^٥ سفر العدد ٢٢: ٩ - ١٩

كَانَ بَلْعَامُ يَعْلَمُ عِلْمَ الْبَاقِينَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ أَقْوَالَهُ. وَلَكِنَّهُ طَمَعًا فِي مَالٍ بِالْإِقْبَالِ تَمَتَّى لَوْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَى شَعْبِهِ لِيَحْرِمَهُمُ الْبَرَكَاتِ وَيَجْلِبَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى لِسَانِهِ. لَقَدْ أَحْسَنَ بِالْإِقْبَالِ بِمَا يَدُورُ فِي صَدْرِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمُتَقَلِّبِ فَقَالَ لَهُ: "تَعَالَى الْعَنْ لِي يَعْقُوبَ وَهَلُمَّ أَشْتَمُ إِسْرَائِيلَ". فَأَجَابَ: "كَيْفَ الْعَنْ مَنْ لَمْ يَلْعَنَهُ اللَّهُ وَكَيْفَ أَشْتَمُ مَنْ لَمْ يَسْتَمِهُ الرَّبُّ؟". وَأَتَتْ عَلَى فِيهِ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ بَرَكَاتٌ لَا لَعْنَةً". فَقَالَ بِالْإِقْبَالِ لِبَلْعَامَ: "مَاذَا فَعَلْتَ بِي؟ لَتَسْتَمَّ أَعْدَائِي أَخَذْتُكَ وَهُوَذَا أَتَتْ قَدْ بَارَكْتَهُمْ". ثُمَّ قَالَ لَهُ: "لَا تَلْعَنُهُ لَعْنَةً وَلَا تَبَارِكُهُ بَرَكَاتٍ". فَأَجَابَ بَلْعَامُ: "أَلَمْ أَكَلِمَكَ قَائِلًا: "كُلُّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الرَّبُّ فَيَأْتِيهِ أَفْعُلُّ". "لَيْسَ اللَّهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبُ وَلَا ابْنُ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمُ. هَلْ يَقُولُ وَلَا يَفْعُلُ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلَا يَقِي؟".^١

لَمْ يَسْمَحِ الرَّبُّ لِبَلْعَامَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ فِيهِ لَعْنَةُ أَرَادَهَا الْعَدُوُّ لِشَعْبِ اللَّهِ. وَلَقَدْ سَمَحَ الرَّبُّ لِبَلْعَامَ أَنْ يَتَلَقَّى مَعَ بِالْإِقْبَالِ الْمَلِكِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَبَ مَشِيئَةِ اللَّهِ. فَقَدْ تَأْتَى الرَّبُّ عَلَى بَلْعَامَ رَغَمَ ضَلَالِهِ. وَجَاءَ بِسَفَرِ الْعَدَدِ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ أَنَّ بَلْعَامَ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ لِمُلَاقَاةِ مَلِكِ مُوَابَ وَقَفَ مَلَكَ الرَّبِّ فِي الطَّرِيقِ لِبِقَاوَمِهِ. وَكَانَ بَلْعَامُ رَاكِبًا عَلَى أَتَانِهِ وَغُلَامًا مَعَهُ. فَأَبْصَرَتِ الْأَتَانُ مَلَكَ الرَّبِّ وَأَقْفًا فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُورٌ فِي يَدِهِ. فَمَالَتِ الْأَتَانُ عَنِ الطَّرِيقِ وَمَشَتْ فِي الْحَقْلِ.. فَضَرَبَ بَلْعَامُ الْأَتَانَ لِيَرُدَّهَا إِلَى الطَّرِيقِ. لَقَدْ أَرَادَ الرَّبُّ أَنْ يُعَدِّلَ مَسَارَهُ. وَلَكِنَّهُ أَبِي دَافِعًا حِمَارَهُ لِيَعُودَ إِلَى مَسَارِ قَلْبِهِ الْمُعُوجِّ. ثُمَّ وَقَفَ مَلَكَ الرَّبِّ فِي خَنْدَقٍ لِلْكُرُومِ. لَهُ حَائِطٌ مِنْ هُنَا وَحَائِطٌ مِنْ هُنَاكَ. فَلَمَّا أَبْصَرَتِ الْأَتَانُ مَلَكَ الرَّبِّ. رَحِمَتْ الْحَائِطَ وَضَعَطَتْ رَجْلَ بَلْعَامَ بِالْحَائِطِ فَضَرَبَهَا أَيْضًا.^٢

وَلَقَدْ حَدَّثَ أَنْ اجْتَنَزَ مَلَكَ الرَّبِّ أَيْضًا وَوَقَفَ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ. حَيْثُ لَيْسَ سَبِيلٌ لِلنُّكُوبِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا. فَلَمَّا أَبْصَرَتِ الْأَتَانُ مَلَكَ الرَّبِّ رِبِضَتْ تَحْتَ بَلْعَامَ. فَحَمَى غَضَبُ بَلْعَامَ وَضَرَبَ الْأَتَانَ بِالْقَضِيبِ. فَفَتَحَ الرَّبُّ فَمَّ الْأَتَانُ فَقَالَتْ لِبَلْعَامَ: "مَاذَا صَنَعْتُ بِكَ حَتَّى ضَرَبْتَنِي الْآنَ ثَلَاثَ دَفْعَاتٍ؟". فَقَالَ بَلْعَامُ لِلْآنَ: "لَأَنْكَ أَزْدَرَيْتَ بِي. لَوْ كَانَ فِي يَدِي سَيْفٌ لَكُنْتُ قَدْ قَتَلْتُكَ". فَقَالَتْ الْأَتَانُ لِبَلْعَامَ: "هَلْ تَعَوَّدْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ هَكَذَا؟". فَقَالَ: لَا. ثُمَّ كَشَفَ الرَّبُّ عَنْ عَيْنَيْ بَلْعَامَ فَأَبْصَرَ مَلَكَ الرَّبِّ وَأَقْفًا فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُورٌ فِي يَدِهِ. فَخَرَّ سَاجِدًا عَلَى وَجْهِهِ. فَقَالَ لَهُ: "إِمَّاذَا ضَرَبْتِ أَتَانَكَ الْآنَ ثَلَاثَ دَفْعَاتٍ؟". فَقَالَ بَلْعَامُ لِمَلَكَ الرَّبِّ: "أَخْطَأْتُ". فَقَالَ مَلَكَ الرَّبِّ لِبَلْعَامَ: "أَذْهَبْ مَعَ الرَّجَالِ وَإِنَّمَا تَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الَّذِي أَكَلِمُكَ بِهِ فَقَطْ". فَانْطَلَقَ بَلْعَامُ مَعَ رُؤَسَاءِ بِالْإِقْبَالِ.^٣

لَمْ يَكُنْ اعْتِرَافُ بَلْعَامَ بِأَنَّهُ أَخْطَأَ نَاتِجًا عَنْ تَوْبَةٍ صَادِقَةٍ. وَلَكِنَّهُ نَاتِجٌ عَنْ تَحْذِيرٍ وَإِنْذَارٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِي قَالَ لَهُ: "لَوْ لَمْ تَمِلْ الْأَتَانُ مِنْ قَدَامِي لَكُنْتُ الْآنَ قَدْ قَتَلْتُكَ وَاسْتَبْقَيْتَهَا". كَانَتْ أَمْنِيَّةَ بَلْعَامَ أَنْ يَرْضَى الرَّبُّ عَنْهُ لِيُحَقِّقَ رَغْبَتَهُ فَيَلْعَنَ شَعْبَ اللَّهِ فَيَكْسِبَ مَالًا وَجَاهًا. كَانَ يَتَمَنَّى هَلَكَ الشَّعْبِ مِنْ أَجْلِ نَفْعِ مَادِي. إِنْ اعْتَرَفَا بِالْخَطَا مِثْلَ ذَلِكَ الاعْتِرَافِ وَعُدُّوْا عَنْ السَّيْرِ فِي طَرِيقِ التَّهْلُكَةِ خَوْفًا مِنْ إِذْذَارِ الْمَلَائِكَةِ بِقَتْلِهِ. هُوَ الضَّلَالُ بِعَيْنِهِ.^٤

تَكَرَّرَ ذِكْرُ ضَلَالَةِ بَلْعَامَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَعَنْ سُلُوكِهِ الْمُعُوجِّ.. فَلَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهُ بِسَفَرِ التَّنْبِيَةِ إِذْ قَالَ الرَّبُّ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ: "وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَنْ يَسْمَعَ لِبَلْعَامَ فَحَوْلَ لِأَجْلِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ اللَّعْنَةَ إِلَى بَرَكَاتٍ. لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكَ قَدْ أَحْبَبَكَ". وَجَاءَ ذِكْرُهُ أَيْضًا بِسَفَرِ يَشُوعَ: "وَبَلْعَامُ بَنُ بَعُورَ الْعَرَاةِ قَتَلَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالسَّيْفِ مَعَ قَتْلَاهُمْ". وَجَاءَ ذِكْرُهُ كَذَلِكَ بِسَفَرِ يَشُوعَ: "وَقَامَ بِالْإِقْبَالِ بَنُ صِيفُورَ مَلِكُ مُوَابَ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلَ وَدَعَا بَلْعَامَ بَنُ بَعُورَ لِكِي يَلْعَنَكَ. وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَسْمَعَ لِبَلْعَامَ فَبَارَكْتُمْ بَرَكَاتٍ وَأَنْفَذْتُمْ مِنْ يَدِهِ". وَكَتَبَ بِطَرُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ عَنْ الضَّالِّينَ الَّذِينَ تَبِعُوا طَرِيقَ بَلْعَامَ قَائِلًا: "قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ فَضَلُّوا. تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بَنُ بَصُورَ. الَّذِي أَحَبَّ أَجْرَةَ الْإِثْمِ. وَلَكِنَّهُ حَصَلَ عَلَى تَوْبِيخٍ تَعْدِيهِ. إِذْ مَنَعَ حَمَاقَةَ النَّبِيِّ حِمَارًا أَعْجَمَ نَاطِقًا بِصَوْتِ إِنْسَانٍ".^٥

لَيْتَكَ أَخِي تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. نَشْكُرُكَ لِأَنَّ عَدَمَ أَمَانَتِنَا نَحْنُ لَا يُبْطِلُ أَمَانَتَكَ. لَسْنَا إِنْسَانًا. فَحَاشَاكَ أَنْ تَكْذِبَ. وَلَسْنَا ابْنِ إِنْسَانٍ فَتَنْدَمُ. نَقُولُ فَنَفْعُلُ. نَتَكَلَّمُ وَتَقِي. اغْفِرْ لَنَا عَدَمَ أَمَانَتِنَا رَبَّنَا. نَرْفَعُ صَلَاتِنَا فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِينَا. مُؤْمِنِينَ وَمُتَكَلِّمِينَ عَلَى صِدْقٍ وَعَدِّكَ يَا مَنْ قَلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر العدد ٢٣: ٦ - ٣٠

^٢ سفر العدد ٢٢: ٢٢ - ٢٥

^٣ سفر العدد ٢٢: ٢٦ - ٣٥

^٤ سفر العدد ٢٢: ٣٢ - ٣٣

^٥ سفر التثنية ٢٣: ٥